أثر البيئة الاجتماعية والثقافية في الحركة الأدبية والنقدية في الجزائر

أ. حمودي السعيد
جامعة المسيلـــة

إن الحديث عن الحركة الأدبية و النقدية و تأثير البيئة عليها يستوجب ذلـــك علينـــا معرفة ماهية النقد و ما الغاية منه.

النقد كلمة مأخوذة في الأصل من نقد أو انتقد الصيرفي الـــدراهم وهـــو عمليـــة (تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها)[1] أي التمييز بين صحيحها و زائفها ، أو بين جيـــدها ورديئها ومنه " النقاش" قيل :"ناقدت فلانا إذا ناقشته في الأمر[2]" ،هذا هو المعنـــى الواســـع الشامل للكلمة غير أنها قد تقتصر على معنى الزيف والعيب من ذلك حديث أبي الـــدرداء (إن نقدت الناس نقدوك و إن تركتهم تركوك[3]).

وبهذا المعنى استعمله بعض المحدثين من الكتاب وجعلوه رديفا للتقريظ أي المـــدح والثناء وقالوا : " باب النقد والتقريظ " أي باب ذكر المساوئ وذكر المحاســـن " وإن أنســـب المعاني الذي أخذ عنها النقد الأدبي في العربية هو تمييز العملة الفضية والذهبية من زائفهـــا مما يستلزم الخبرة والفكر ثم الحكم وهو المعنى الأقرب" من الأصل الاشتقاقي المرادف للنقد في اللغات الأوربية Criticism ومعناه في الأصل الحكم أو التفكير[4]

إن جوهر النقد الأدبي يقوم على الكشف عن جوانب النضج الأدبي وتمييزهـــا مـــن سواها عن طريق الشرح والتعليل ثم يأتي بعد ذلك الحكم العام عليها وغالبا ما يكون النقـــد في مفهومه الحديث – لاحقا للإنتاج الأدبي لأنه تقويم لشيء سبق وجوده وإنه علـــم مـــن العلوم الإنسانية "[5]

---

[1] ابن منظور لسان العرب م3 ص425

[2] د . خالد يوسف في النقد الأدبي و تاريخه عند العرب المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ص12

[3] أحمد أمين النقد الأدبي ج3 ط4 ص17

[4] د. محمد غنيمي هلال النقد الأدبي الحديث ط2 دار العودة بيروت لبنان ص11

[5] د. محمد غنيمي هلال النقد الأدبي الحديث ط2 دار العودة بيروت لبنان ص12

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و لارتباطه بالعلوم الإنسانية تقدم بتقدم تلك العلومأفادته منها ومحاكاتـــه لمناهجهـــا بذلك تظل الصلة وثيقة بين الأدب ونقده وتتلاقى فلسفة النقد الأدبي الحـــديث مـــع فلســـفة التارخ الحديث أو ما يمكن تسميته " النقد التاريخي" إذ لم يعد التاريخ بحثا عـــن الإمتـــداد الزمني في الماضي بوصفه إطارا لما وقع فيه من حوادث ولكنه أصبح كشفا عـــن القـــيم الإنسانية فيما تكشف هذه الحوادث من قوانين إنسانية محدودة بعواملها التاريخية لقـــوانين الاقتصاد السياسي في المجتمعات الماضية أو عوامل التقدم الثقـــافي وانحطاطـــه والأمـــر كذلك متعلق بالأدب وعلوم اللغة ومن الجلي أن دراسة النقـــد الأدبـــي تمـــس الأدب فـــي حاضره لتوجهه في مستقبله والناقد العبقري كالكاتب العبقري قد يضيف جديدا بما يـــدعو من دعوة يوجه فيها الأدب وجهة جديدة ويشرح الحاجة الماسة إلى الاتجاه الجديد شـــرحا فنيا وعلميا ويقيد فيه مما أطلع عليه من التراث الأدبي وتـــراث النقـــد والكاتـــب والناقـــد كلاهما والحالة هذه صادر عن عبقريته وكلاهما في منطقة تشبه تلك التي تحـــدث عنهـــا فرجيل في " الكوميديا الآلهية" لـــ: "دونته" حين قال:" لقد وصلت إلى مكـــان لا أســـتبين بنفسي ما وراءه وقد سرت بك إليه بعلمي وفني ومنذ الآن اتخذ هاديا ما طـــاب لـــديك إن أنك تجاوزت المسالك الضيقة الوعرة " التي هي مسالك الصحة والتعليم"[1]

علاقة النقد بالأدب

أما فيما يتعلق بالنقد الأدبي فإن الأدب له ارتباط وثيق بالنقد فلا يتقـــدم بدونـــه في هذا يقول الدكتور عبد الله ركيبي " ولاشك في أن العلاقة بينهما حميمة علاقـــة جدليـــة فإذا قلنا إن ضعف الأدب من ضعف النقد فإن العكس صحيح أيضا ذلك أن من الصـــعب الفصل بينهما أما فيما يتعلق بوظيفة الناقد فإن مهمته هو تفسير هذا الجمال وإظهار طريقة الأديب في الحث على الخير أو نقد الحياة وما فيها من زيف أو ظلم أو شر " فعلمه خلـــق جديد للمادة التي ينقدها وإعادتها على نحو تظهر معه قدرته على التذوق والفهم وتوصـــيل ذلك للآخرين) غبر انه من يختلف مع الركيبي في مفهوم وتحديد مهمة الناقد بهذا الشـــكل فلغيره من يرى أن مهمة الناقد مستقلة عن مهمة الأديب أو هي غير تابعـــة لهـــا بالشـــكل الذي حدده الركيبي.

[1] د. محمد غنيمي هلال النقد الأدبي الحديث ط2 دار العودة بيروت لبنان ص26

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالناقد ليس مفسرا أو واسطة فحسب بل هو صاحب موقف يقفه في تكامل أوتناقص مـع موقف الأديب و إن النقد الأدبي في الجزائر مر بمراحل متباينة كان في بـدايتها تقليـديا إلى أوائل العشرينات التي ظهرت فيها نظرة جديدة إلى ألدب و وظيفته غير أنه لم يكـن لها صدى في نفوس الأدباء يقول الركيبي: " على أن هذه الآراء التقدمية حـول النقـد والشعر لم تستمر ولم تجد لها صدى في نفوس الأدباء لأسباب كثيرة منهـا أن الشـعراء والنقاد كانوا من المحافظين ومن رجال الدين المصلحين ثم أن التقاليد النقدية لـم تترسـخ في البيئة الأدبية الجزائرية"[1].

أثر البيئة على الحركة الأدبية و النقدة في الجزائر(اجتماعية و ثقافية)

*** وضع الأديب في البيئة الاجتماعية والثقافية (بعد الحرب العالمية الثانية) على وجه الخصوص .**

إن البيئة الاجتماعية هي التربة التي ينشأ فيها الأديب وعلى قدر غنـي وخصـوبة هـذه التربة أو فقرها تأتي الثمار .

ونظرة متفحصة في الأوضاع والظروف التي كان يعيش فيها المجتمع الجزائري قبـل حرب التحرير تعطينا الإجابة الشافية ....في الوقت نفسه كما كان يعانيها هذا المجتمع من قهر واضطهاد وفقر وحرمان ومرض فكان بذلك منشغلا بمفهوم يدعه وفـي أثـر ذلـك يصرف طاقته ويعرف ذاته بعيدا عن الاهتمامات الرئيسية التي لاغنى لـه عنهـا وفـي مقدمتها النشاط الثقافي بصفة عامة والنشاط الأدبي بصفة خاصة لما لهـذا الجانـب مـن أهمية قصوى في حياة الأفراد والجماعات على حد سواء لأنه مـرتبط بـالروح البشـرية والضمير الإنساني.

- وفي حديثنا عن البيئة الاجتماعية الجزائرية وتأثيرها في الأدب والأدبـاء إن المسـؤولية المشتركة والتأثير متبادل غير أن المقصود من هذا هو بيان مدى خطورة البيئة الاجتماعيـة في الحياة الأدبية. و حول وضع الأديب اجتماعيا واقتصاديا يقول (رضا حوحـو) : " وإذا ألف أحدنا كتابا ليضعه في رفوف المكتبة الجزائرية الفارغة وقف محتارا أين يطبعه ؟ ومن يتكلف بطبعه ؟ وكيف ينشره ومن يتكلف بتوزيعه وبيعه ؟ ثم.....ثم من أيـن لـه النقـود اللازمة لنفقات الطبع الباهظة وهو من الذين تجوز فيهم زكاة الفطر"[2].

[1] د. عمار بن زايد النقد الأدبي الجزائري الحديث المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1990 ص 56

[2] د. عمار بن زايد النقد الأدبي الجزائري الحديث المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1990 ص 56

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكن ابن منصور لايرى للفقر أي تعطيل للإنتاج كما لا يرى للسعي في طلب الرزق دخلا في ا بعاد المواهب عن الإبداع يقول : " ولو كان هذا صحيحا لما رأينا في ميدان الأدب كاتبا يصول ولا شاعرا يجول ولما كان حظنا أن نستمتع بآداب صفوة الأدباء القدامي والمعاصرين لأن جلهم ولد في العدم وترعرع في المتربة وشب في الإملاق ومات في الحرمان فكان الفقر يزيدهم اقتدارا على العمل .

وهذا (حمزة بوكوشة) أحس بظلم الأديب عندما بدا له أن الشيخ البشير الإبراهيمي يقسو عليهم مخاطبا إياه بما يلي :

" حدثتني نفسي عند قراءة مقالكم الممتع أن فيه شيئا من القسوة والحيف على أدبائنا حيث وصفتموهم بالكسالى وما هم بكسالى ولكن للبيئة الاجتماعية أثر بالغ فيما نحن نكابده ونعانيه عن جدب في القرائح وشعور بمركب النقص في طائفة أخرى لا تقدر إلا على السلخ والمسلخ فتسقط عند المحاكاة في هوة عميقة مالها من قرار و هيهات أن ينمو الأدب في أمة تكافح عن كسب الضروري من العيش وهي مرهقة بالنوائب المتعددة والضرائب المتجددة حتى كادت تضرب عليها ضريبة الإستدفاء و الاستظلال تعيش تحت سلطان لا يعترف بلغتها ولا بدينها ولا بجنسها همه تضليلها وتذليلها وتفقيرها وتحقيرها حتى تخيلت ثم خالت أنها ما خلقت على وجه البسيطة إلا لتضطهد وتستعبد لذلك ترى الأدباء .وأنت من أعرف الناس بهم وأرأفهم بهم – غرباء في هذه البلاد وكادوا يعتقدون وجودهم في المجتمع من الآفات[1] "

إن في هذا تعبير وبجلاء عن الوضعية الصعبة جدا التي آل إليها المجتمع الجزائري وما فيه من طاقات مادية وبشرية في ظل إدارة استعمارية تستغل البلاد والعباد وتكبل الحريات وتضعها في الأغلال وتحارب أدنى بصيص من الأمل وكل بذرة للتحرر.

وفي ظل هذه الظروف يقول بكوشة " إن الوسط الذي نعيش فيه يفني العزائم ويخلق الهزائم " وهكذا يرد بكوشة على مقال وجهه الإبراهيمي إلى الكتاب وقد اتهمهم بالتقصير في الكتابة " لك الحق يا سيدي أن توجهنا وترشدنا وتقول: اجتهدوا وابحثوا ونقبوا واصبروا وصابرو في سبيل لغة القرآن فإنكم أنتم حماتها وأنصارها فإنها إن تودع في هذه البلاد فذلك فناؤكم واضمحلالكم فحذار وحذار أن تؤتى من قبلكم فنحن ينقصنا

[1] د. عمار بن زايد النقد الأدبي الجزائري الحديث المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1990 ص 57 - 85

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التوجيه في كل شيء ولن نجذ موجها رشيدا ذا رأي سديد مثلكم ولكنـــا لا نقـــركم علـــى وصفنا بالكسل[1] "

إن بكوشة يؤمن إيمانا قويا أن التوجيه هو الذي ينقص الأدباء الجزائريين فهم في حاجة إلى من يرشدهم ويدلهم على الطريق الصواب والنجاح وتجنبهم العثراث والمزالـــق كما انه يؤمن أن الجزائر لا تخلو من عبقريات تضاهي عبقريات الشرق والغـــرب ولكـــن الأوضاع الاجتماعية البائسة التي يتخبط فيها المجتمع هي التي جعلته غيـــر قـــادر علـــى رعاية تلك العبقريات بل جعلته يغتالها دون وعي أو إرادة بفعل الخناق المضروب عليهـــا من طرف الاستعمار الذي يدرك جيدا أن الأدباء مصدر رئيسي من مصادر الخطر لأنهـــم حماة القيم الاجتماعية ودعاة التمسك باللغة العربية والدين والأرض وهم قادة الأمة بذلك و محرضوها على النهوض والثورة وإنهاء الوجود الأجنبي ومن ثم حـــاربهم المســـتعمر ومحاولا إبعادهم عن والعمق الإستراتيجي للجزائر وهو المشرق العربي لتحقيق عدوانيتـــه الرامية إلى ترويض المجتمع الجزائري و سلخه من شخصيته وإلحاقه بفرنســـا ... حتـــى يتكون بذلك جيل متذبذب لا هو بشرقي و لا بغربي، لا يصدق عليه من الأسماء إلا نـــشء الاستعمار(المسلم الفرنسي)

* لاجرم أن علماء العربية وأدباءها في هذه الديار غرض ومرمى لفـــتن كقطـــع الليل المظلم تصب عليهم من سلطان غاشم و أمة جاهلة ونفس لوامـــة فالســـلطان يريـــد تسخيرهم لهدم كيانهم وقطع الصلة بين ماضيهم وحاضرهم والأمة تتدخل فيما لا يعنيهـــا من شؤونهم وتحاسبهم على الأنين والتأوه ولا ترضى عـــنهم إلا إذا كـــان عنـــدهم عـــزم المرسلين والنفس تلومهم إذا ذهلوا عن أداء واجب من الواجبات ولو كان في آدته تكليـــف ما لايطاق "[2] و ما يلاحظ من هذا أن الأديب آنذاك كان يعيش تحت أحكام عرفية فرضتها الشخصيات عاش وضعا اجتماعيا محافظا متشددا ألحق الأديب أتعابـــا وأضـــرارا علـــى المستوى الشخصي والأدبي عاش في ظل بيئة اجتماعية محافظة محاطة بســـياج حديـــدي محاصر في بيئة متأزمة متخلفة

[1] د. عمار بن زايد النقد الأدبي الجزائري الحديث المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1990 ص 58

[2] د. عمار بن زايد النقد الأدبي الجزائري الحديث المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1990 ص 59

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا عن البيئة الاجتماعية أما عن وضعه الثقافي ، فإن الأديب لم تتـوفر لـه الظروف التي تساعده على صرف طاقته واهتماماته بالثقافة والأدب قراءة وتأليفا فهو يكد ويجد ويصل بياض نهاره بسواد ليله من أجل توفير لقمة العيش لنفسه ولمـن هـم فـي كفالته، غير أن هناك من رد على هذا الرأي إذ ان النشاط الثقافي والأدبـي لـيس ميـدانا للاحتراف كما هو ليس سببا مشروعا للبطالة.

- ومما يلاحظ أن المجتمع قد فرض هيمنته الواسعة على الأدباء و فرض علـيهم أسـاليب ورؤى معينة في الكتابة وبقدر مايعد ذلك محافظة يعد ضعفا واهتزازا في شخصياتهم أيضا.

* واذا تتبعنا البيئة الثقافية وحاولنا سبر أغوارها من خلال آراء بعض النقاد فإننا سـنجد القاسـم المشترك بينهم جميعا هو التشكي من هذه البيئة لما يعتو رها من تخلف وجمود وجهل .

حيث نقف على جوانب هذه البيئة، فيقدم لنا ابن منصور صورة عـن الوضـع الثقافي " فلماذا هذه الكتابة ؟" و أي فائدة منها فلا تدعوني إليها يا صديقي فقد طلقتها ولـم أجد من يشجعني على الرجوع إليها فلا الصحافة صحافة ولا القراءة قراءة أما التـأليف و حديثك عنه فهل بلغك كتاب عادة أم القرى فقد طبعت أربع آلاف نسخة منه وقد اسـتطعت بعد الجهد أن أوزع ألف نسخة في الجزائر وأن معظم ما بيع منها ما زالـت نقـوده فـي جيوب الكثيرين من زملائنا الذين تبرعوا علينا ببيعها[1]"

قدم لنا حوحو صورة واضحة عن المصاعب الجمة التي يلاقيها الأديب في توزيـع وبيـع أعماله ومصاعب الطباعة، فلم يكن أحمد رضا حوحو وحده الذي أعرب عـن تشـاؤمه إزاء البيئة الثقافية المحافظة وإنما نقادا غيره ذهبوا مذهبه في رصد وتوضيح هـذه البيئـة التي لا يوجد فيها ما ينمح الأديب الجزائري الحماس المطلوب والقوة للغوص فـي دنيـا الإبداع والتأليف فهذا الصالح بوغزال في مقال " مالهم لا ينطقون" يؤكـد بـؤس الأديـب الجزائري وغربته الروحية والفكرية بين أبناء جلدته لأنه كما يقول " إذا كتـب أو شـعر لايجد من يفهم لغته ويقدر روحه ويتذوق كلامه فهو لهذا ينزوي ويعتزل دنيا القلم والأدب وينطوي على نفسه ويلوذ بالسكوت يفعل هذا كارها لان الظروف والأحوال ألجأتـه إليـه إلجاءا ويفعله متألما حزينا لان نفسه الكبيرة الحساسة التي يحملها بين جنبيه تأبي عليـه أن تحطم قلمه ويئد أفكاره ويغمد سيفه في قرابه و يحكم على نفسه بنفسه بـالعقم والجمـود

د. عمار بن زايد النقد الأدبي الجزائري الحديث المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1990 ص 66 ينظر البصائر س2 ع7 1947/9/19 [1]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإهمال الفكر وجدب القريحة وهو أعرف الناس بقيمتها وأدراهـم بمـدى اسـتعدادها ولا نتحدث عن هذه الفئة التي تفهم من العربية والتي تقدرها والتي اختارتها العنايـة اللاهيـة لتقوم بأمانة الدفاع الثقيلة عن هذه اللغة وحمايتها في هذا الـوطن المنكـود الحـظ الـذي اصطدمت كل العوامل وتآزرت كل القوى على محاربته[1]"

أما" المكي النعماني " فانه يحمل الأمهات بالتحديد مسؤولية الوضع الذي يؤول إليه الأبنـاء عندما ينخرطون في الحياة العامة حيث يظهر اهتزاز في شخصياتهم لان التربيـة التـي تلقوها لا تمنحهم القوة الكافية لإظهار رأيهم والدفاع عن وجهات نظرهم يقـول : " أمـا الأمهات غفر الله لهن فيقضين مع أبنائهن الهزيج من الليل في سرد مزيج متنـاقص مـن خرافات لا يشتم فيها غالبا أي رائحة من حرية الفكر أو سمو العاطفة لأنها تعتمـد علـى التهويل الخيالي في الرواية لا على التعليم العلمي فينام الأبناء وهم يحملون بمـا أزعجهـم وأدخل الروع في نفوسهم فإذا تقدمت بهم السن فلن يجدوا أمامهم إلا نفس الصورة مكبـرة محورة تحت رأيه (سلم تسلم) تبين من هذا أثر التربية وانعكاساتها فـي حيـاة الأفـراد والمجتمعات.

ومن خلال استقرائنا لآراء النقاد الجزائريين يتضح جليا أنهم مجمعون على عـدة عناصـر مشتركة تدخلت في فرض أزمة ثقافية حقيقية يمكن تحديدها في العناصر التالية السالفة الذكر وهي:

1- البيئة المحافظة.

2 – قلة التشجيع.

3 – قلة القراءة.

4 – صعوبة النشر و التوزيع و ارتفاع تكاليف الطبع.

5 – سوء التربية في الأسرة الجزائرية و الإيمان ببعض الخرافات.

القراءة :

فإذا كان التشجيع المادي والمعنوي حيويا وهاما في دفع الأدباء إلـى بـذل المزيد من الجهد والعطاء الإبداعي ورفع المستوى الفني لذلك العطاء فان اهتمـام القـراء بأعمالهم واقبالهوم عليها بالقراءة وإبداء آرائهم فيها يصدق ونزاهة لايقل أهميـة وحيويـة عن هذا التشجيع فالقراء هم الوسط الطبيعي لحياة الأديب معنيون بنتاجـه ووصـفه فـي

د. عمار بن زايد النقد الأدبي الجزائري الحديث المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1990 ص 68 صدر هذا المقال البصائر س2 ع216 1953/1/30 [1] بجريدة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مكانه اللائق بالنقد والتوجيه وبدون ذلك، فالكتابة تفقد مدلولها الوظيفي و بفقدانها للطـرف المتلقي تصبح ملغاة ومن هنا تظهر الأهمية البالغة لعنصر القراء

إننا نلاحظ أن الشكوى من قلة القراءة والتذمر من ضعف التشجيع لدى النقـاد الجزائريين كان من أسباب ضعف الإنتاج وقلة وفرته إلى جانب ذلك مسألة الطبع والنشر والتكاليف الباهظة شكلت هي الأخرى محورا هاما في كتابات العديد من النقاد الجزائريين وفي مقدمتهم رضا حوحو فكانت من أكبر العواقب التي واجهتها الحركة الأدبية الجزائرية الحديثة و عانى منها الأدباء الأمرين فانعكست تأثيراتها السلبية عليهم أيما انعكاس فاتهموا بعدم التفاعل مع الأحداث الجسام أو الانفصال عن المجتمع فكان لهم لوم وعتاب وتجريح، فالأزمة الأدبية والثقافية كما عكستها آراء النقاد الجزائريين تعود إلى عدة عناصر خارجة عن إرادة الأديب لكنها عليه سلطان يكبله وهو باعتباره أديب موهوب يطمح إلـى إبـداء أفكاره في مجريات الأحداث ويرغب في توجيهها سواء أكان الأمر يتعلق بالحياة الأدبيـة أو الاجتماعية أو السياسية أو الدينية.

الصحافة ووسائل الإعلام

شك النقاد الجزائريون ومنهم احمد رضا حوحو في قدرة هـذه الوسـائل وفـي مقدمتها الصحف الجزائرية على استيعاب ثورة الأدباء الجزائريين على الأوضاع السـيئة في شتى المجالات يقول : (وهل تقوى صحفنا المحترمة على تحمل مسـؤولية ضـربات معاولهم "يقصد الكتاب أو الأدباء" وهم ينزلون على كـل معـوج فـي الأدب والمجتمـع والسياسة إني أشك في ذلك وإذا ما رضيت بالنشر وتهديم معوج فهل من الممكن أن نصل إلى اتفاق تعريف معوج وتحديده إني اشك في ذلك كثيرا ولجريد البصائر عـذرها فهـي لسان حال لحركة الإصلاح لا يمكنها أن تحيد عن خطتها لتتبع هوس أديب لا تـدري أي مسلك يسلكها به وللأدب الحي عذره أيضا فهو يتطلـب الحركـة ويمقـت عـالم القيـود والسدود). إن حوحو يوجه نقدا ضمنيا إلى جمعية العلماء المسـلمين كحركـة إصـلاحية متشددة في بعض الأمور والى جريدتها الناطقة بلسان حالها (البصائر) وقد تمثل ذلك في تضييق حرية الأديب.

و بهذا نجد أن أحمد رضا حوحو يبرر ضعف الإنتاج و قلته، لأن الأدباء لـم يجـدوا الصدى لنداءاتهم و لم يجدوا التربة الخصبة لبذورهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أسباب ضعف ازدهار المقالة النقدية في الأدب الجزائري :

و لعل أهم العوامل التي حالت دون ازدهار المقالة النثرية وجعلها لا تتجـاوز حـظ المحاولة البسيطة جملة من الأسباب، إن أولائك الكتاب لم يكونوا أولي ثقافـة عصـرية أكاديمية وإنما كانت ثقافتهم تقليدية في الغالب عصامية قائمة على الاسـتيعاب الشخصـي دون موجه خبير أو أستاذ تحرير .

- عدم وجود إنتاج قصصي غزير أو مسرح وفير ذلك إن الفن القصصي بمعناه الـدقيق لم يظهر في النثر الأدبي الجزائري إلا بعد الحرب العالميـة الثانيـة علـى حـين الفـن المسرحي لم يكن الفحول من الكتاب يعنون به كالإبراهيمي الذي خلف مسرحية واحـدة " رواية الثلاثة"" كتبها شعرا تقع في ألف بيت ولا تبرح مخطوطة واليه توفيق المدني....

- إن الذين كانوا يقودون الحركة الأدبية ويوجهونها لم يكونوا معجبين بالثقافـة الغربيـة التي المسرحية ابنتها والقصة الحقيقية الراقية ذات القواعد والأصـول كانـت أثـرا مـن آثارها.

- ونتيجة لقصور أولائك الكتاب في الثقافة الأكاديمية العليا التي يتسلح بها الناقد المختص فتمكنه من إجراء الأحكام الصحيحة وإقامتها على أساس من العلـم والخبـر ة، فالمقالـة النقدية في الجزائر بذلك لم تعرف تيارات نقدية أو مدارس دار حولها الخلاف في الـرأي بين النقاد ونشبت بينهم المعارك الأدبية من أجل الخلاف في المذهب، كذلك الذي ثار بـين طه حسين والرافعي حول القديم والحديث في مصر .

أو كالقضية الأدبية الكبرى التي يمثلها أحسن مصدر في كتاب" أبـي الحسـن الآمـدي" الموازنة بين البحتري وأبي تمام"، وكتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه " لعلي بن عبـد العزيز الجرجاني" ، أو كذالك الذي ثار بين النقاد القدامى حول محافظة البحتري وتجديـد أبي تمام في العصر العباسي، وان تلك المعارك عادة لا تكون إلا في أدب بلـغ القمـة أو كاد، كما لا تنشأ مثل هذه المعارك الأدبية التي تتولد منها مذاهب نقديـة إلا بـين أدبـاء الطبقة الأولى.

- كما أن عدم اشتغال الكتاب الجزائريين بموضوع الأدب البحت وحده ،كونهم خلال هذه الفترة لم يكونوا يحترفون الأدب قاصرين أنفسهم عليه وحده بل أن معضم هؤلاء الكتـاب كانوا معلمين في المدارس العربية الحرة واقفين جهودهم على التدريس وتوجيه الناشـئة ، وإعطاء دروس الوعظ والإرشاد والتعليم الديني خلال كل شهر رمضان فينتقلون فجأة من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأدب إلى الدين ومن مجال الخيال الرحب إلى مجال الإرشاد الديني المحض بما فيه مـن وقار وقيد[1].

إن هذه الظاهرة مفروضة على الكتاب الجزائريين لأنهم كانوا يحترفـون مهنـة التعلـيم ويقتاتون منها كما أنهم كانوا منتمين إلى الحركة الإصلاحية التي تعول عليهم فـي تربيـة النشء وتنوير الأفكارو في وعظ العوام وإرشادهم إلى سبل الخير وبذلك كانوا مضـطرين إلى ذلك اضطرارا ومن المقالات التي يمكن إدراجها بتحفظ فـي بـاب النقـد مـا كتبـه الإبراهيمي بعنوان "انتقاد ورده"[2] وكان قد رد على من انتقده حين جرد محمد العيـد مـن الألقاب التي كانت تكال له بسخاء وقد انتهى الإبراهيمي في هذه المقالة إلى أن الألقـاب الأدبية أصبحت كالألقاب السياسية فان العيد وأمثاله من المحسنين لفنونهم وإن الألقـاب لا تزيد في محمد العيد إلا بمقدار ما زادت الباشاوية في قيمة طه حسين[3].

ومن المقالات النقدية التي ظهرت خلال هذه الفترة (أدب القصة والعقاد) ونجـد محمـد الجيجلي ينقد مسرحية (شهرزاد لتوفيق الحكيم)، ومن الأجناس الأدبية التي انصبت عليهـا المقالات النقدية وحاولت تقويمها وتبين ما فيها من محاسن وعيوب الفن القصصي عنـدما ظهرت رواية أحمد رضا حوحو بعنوان (غادة أم القرى) فقد حاول محمد الشـبوكي أن يقدم دراسة حولها وينشرها بمجلته التي كان يصدرها بمدينة الجزائر (إفريقيـا الشـمالية ماي 1949 ص 38 - 42) وقد حاول إسماعيل العربي أن ينتقد حوحو في هذه الروايـة التي كانت أول ما صدر من الأدب الروائي باللغة العربية في الجزائـر فعـرض لبنائهـا الفني واهتم خاصة بالجانب النفسي فيها ثم للأسلوب بأنه مهلهل أما اللغة فقد اعتبرها فـي هذه الرواية دون المتوسط.

الذين عينوا في مساجد الجزائر يقول الدكتور : عثرنا على قائمة بأسماء الأساتذة الذين عينوا للقيام بالوعض والإرشاد في مساجد الجزائر ونوادها العامة بالنسبة لشهر رمضان من سنة 1386 هجرية في ب2 ،ع 86 1949/7/11 وقد ألفينا من بين هؤلاء الوعاظ المرشدين الشيخ الإبراهيمي نفسه وابن ذياب ، واحمد بن عاشور ،ومحمد الشبوكي نو وعبد الوهاب بن منصوركما يذكر الإبراهيمي

[1] في ب 2 ع4 -1949/08/29

[2] نشرت المقالة في ب2 ع239 234 .1953/09/4 .ص7 عد 3

[3] عبد المالك مرتاض فنون النثر الدبي الجزائري الحديث ص 104

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن من يلاحظ من مقالي الشبوكي وإسماعيل العربي يقتنع بأن الأول كان مقرض في حين أن الثاني حاول أن يكون ناقدا غير أن المسرحيات التي ظهرت يومئذن في الجزائر لم تلق من يحللها للقراء أو ينقدها لهم فيبين ما فيها من عيوب أو ما صادفها من توفيق وإبداع فان هذا الإنتاج كذلك لم يحظ إلا ببعض التقريظات المقتضبة والتعليقات البسيطة، ولعل أحسن ما يمكن إدراجه في إطار المقالة النقدية حول المسرحية في الجزائر تلك المقالة التي كتبها احمد رضا حوحو محاولا فيها تحليل (مسرحية الصحراء[1]، التي قدمتها فرقة محمد الطاهر فضلاء ،اعتبرها حوحو طفرة في مجال هذا الفن ورأى أنها صادفت نجاحا كبيرا لأنها خلت من الأخطاء الفنية السابقة التي كان المسرح الجزائري يتيه في ظلماتها ومع ذلك فان كلمة حوحو كانت أدنى إلى التقريظ المسرحي والمدح البحت فيه منها إلى النقد الموضوعي الصرف فقد أغفل فصول المسرحية من التحليل والتعليق[2] ،فقد أرسل أحكامه عامة لا تكاد تغني شيئا كثيرا كقوله : " كانت الرواية ناجحة للغاية تأليفا وتمثيلا " ومثل ذلك يقالوا في المقال الذي كتبه أحمد سحنون حول مسرحية " خالد"[3] ، وشاع لون من الكتابة يمكن إدراجه في باب المقالة النقدية أيضا وهو التقريظات وإن أدب التقريظات في الجزائر يكاد يكون أعم وأشمل وأوفر من النقد الخالص في حد ذاته ومنه التقريظ الإبراهيمي حين ظهر كتاب " مجالس التذكير " لإبن باديس وتقرظ عمر شكيري " لكتاب المتوسط الكافي" وتقرظ ابن باديس لكتاب (محمد عثمان باشا داي الجزائر) لتوفيق المدني ثم تقريظ كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث للشيخ مبارك الميلي، كما عرف أدب المقالة في الجزائر لونا آخر من النقد التعليمي كان يتمثل هذا في الكتابة حول تصحيح الأخطاء اللغوية والإملائية ونحوها كمقال كتبه الإبراهيمي(سؤال وجوابه)[4] رد فيها على من أنكر لفظ (بعلة) مع أنه ثابت في العربية وقد اتهم الإبراهيمي قي هذا المقال الأدباء الجزائريين بالكسل وقلة الإلمام حتى إنهم ارتابوا في هذه اللفظة

[1] نشرت المقالة في ب2 ع234 – 1953/9/4 ص7 عد3-4

[2] عبد المالك مرتاض النثر الفني في الجزائر المصدر السابق ص105

[3] نشرت المقالة في ب2 ع17 – 1947/12/29 ص7-8

آثار ابن باديس 3 – 163/152 ينظر البصائر 2 ع143 1950/12/19 ص وواضح أن لفظ "بعلة" لفظ فصيح و لكنه لا يستعمل في كتابات المعاصرين و إلا فإنه يقال "بعل" و بعلة كما يقال

[4] زوج و زوجة النثر الفني في الجزائر المصدر السابق ص106

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي كانت وردت في بعض مقالات الإبراهيمي هل هي فصيحة حقا ؟ ثـم نصـح لهـم بإدمان القراءة المتأنية المتدبرة لكتب الأدب والاستكثار من حفظ اللغات والأمثال ومعرفـة مواردها ومضاربها .

و خلاصة القول في هذا الموضوع حول عوامل تأثير البيئة الاجتماعية و الثقافيـة في الحركة الأدبية و النقدية في الجزائر، يمكن اعتبارها أزمة كانت في مرحلـة انتقاليـة أصابت الأدب الجزائري بامتحان ليثبت قوته كما كان الأدباء الجزائريون خلالها يعـانون من مخاض عسير عرف الولادة والنور على يد أجيال بعده وفي ذلك كانت المسؤولية كما رأينا مشتركة بين المجتمع والأدباء والقراء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com